

وكذلك الأسماك في المحيطات كيف تهاجر ألوف الأميال دون أن تخطئ . .
بأى شيء تهتدى ، على أى شيء تعتمد . . إن أحداً لا يعرف . . فأين تكمن
هذه القدرة على الاتجاه ؟ وأين تكمن تلك الساعات التي تدق في رءوس
الطيور والأسماك تعلن موعد الهجرة وموعد العودة إن كتبت لها الحياة . . لقد
حاول العلماء وضع صفائح مغناطيسية على الطيور والأسماك لكي تشوش
عليها . . ولكن الطيور والأسماك وصلت في نفس الموعد إلى نفس المكان .

أبسط من ذلك : ما هو هذا العقل الموجود في الحيوان المنوى ويجعله يتحرك
ليبنى إنساناً كاملاً فيه صفات الأم والأب . . ما الذي يجعل خلية مختلفة في
حركتها عن خلية القلب وخلية الكبد ؟ من الذي يفرز هذه الخلايا ؟ من الذي
يجرّها جميعاً في تناسق رائع . . أين هي القيادة . . ما هو ما يسترو ملايين
الملايين من خلايا الجسم الإنساني . . ينظّمها ويوجهها ويخصصها وينميها
ويجمعها في هذا الإطار المعجزة . . وكذلك خلايا النبات . كيف ؟

* * *

هل كان من الضروري للعقل الإنساني أن يبدأ بأبسط الأشياء ليعرف
أصعبها . يتساءل عن سر الخلية ثم بعد ذلك يتجه إلى سر العقل وسر
الكون . . هل الإنسان تجاوز حدود قدراته ؟ نعم ؟ الإنسان حيوان أكبر مما
يتصور . . الإنسان حيوان يفرز أعقد الأسئلة وأكثرها غموضاً . . فالإنسان
يتساءل : أين هو الله ؟ مع أن الإنسان لم يجب بعد عن ما هي الخلية . .

هل من الضروري أن يقف الإنسان عند حدوده الجسمية . . هل يقف عند
« الجزمة » كما تقول الأسطورة اليونانية . يقال إن فنائاً اسمه ابليس كان يرسم
لوحاته ثم يتوارى خلفها ليسمع ما الذي يقوله الناس عنه وعنّها . وفي يوم جاء